**جمهورية العراق / بغداد / الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب**

**قسم اللغة العربيِّة / الأدب الأندلسي / أُستاذ المادة أ.م.د قصي عدنان الحسيني**

**المرحلة الثَّالثة/ مسائي/.....1436ـ1437هـ /2015ــ 2016م**

**الأدب الأندلسي في عصر الخلافة الأُمَويَّة** 316 ــ 400 هــ

**الشِّعر**

نظّم الأندلسيون في عصر الخلافة في أكثر فنون الشعر ، وأبوابه ، ولكنهم برعوا في بعضها أكثر من الفنون الأخرى .

ولعلّ من أبرز الفنون التي برعوا فيها ما سُمِّي **بـ(شعر النوّريات)** ، وهو : الشعر الذي يُقال في الزهر ، ونحوه من أنواع النوّار ، وكان المظفر عبد الملك بن أبي عامر ( ت 399 هـ ) مغرماً بهذا اللون من الشعر يقترحه على شعرائه في أوقات الربيع من دولته ، وكان الإعجاب بذلك كثير الطلب لأنواعه في مظانه ، وأحب أن يدخلها في قيانه في أغانيهن ، واكتتب الناس كثيرا منه في وقته ؛ لحسنه ، وغرابته في معناه .

ومن أشهر الشعراء الذين عُرفوا بذلك **عبد الملك بن إدريس الجزيري** ، **وصاعد البغدادي** ، الذي نظم في الآس والنرجس والبنفسج والخيري والورد ، وشاركه في ذلك **ابن دراج القسطلي ، وابن فرج** **الجيّاني ، وابن هانئ الأندلسي** ، ولم يكن شعر الطبيعة معروفاً لدى الشعراء الكبار فحسب ، بل توزعه معظم شعراء الخلافة ، ويكفي أن نرجع إلى ما تبقى من مقتطفات من كتاب **( الحدائق )** ، أو **(التشبيهات من أشعار أهل الأندلس)** ؛ لتعرف هذه الحقيقة .

وبرعوا بفن الزُّهد ، وعُرِف به كثير من الشعراء الزُّهاد منهم قاضي الجماعة في قرطبة يونس بن عبد الله بن محمّد المعروف بابن الصفّار الذي جعل معظم أشعاره في الزُّهد ، وقد ألّف ( كتاب المنقطعين إلى الله عزّ وجلّ ، و ( كتاب المتهجدين ) ، وهما مما يبحث في الزُّهد ، ومن أشعاره في الزُّهد :

**فررتُ إليكَ من ظلمي لنفسي ........... وأوحشني العبادُ فأنت أُنسي**

**رضاكَ هو المنى وبه افتخاري ....... وذكرُكَ في الدُّجى قمري وشمسي**

**قصدتُ إليك منقطعاً غريباً ..............لتؤنس وحدتي في قَعْر رِمْسي**

**وللعظمى من الحاجات عندي ....... قصدتُ وأنت تعلم سِرَّ نفسي**

وظهر في هذا العصر شعراء كثيرون يصعب إحصاؤهم ، أو الإلمام بأشعارهم حتّى زخرت كتب التراجم بتفصيل حياتهم ، والكثير من أشعارهم وآثارهم ، وكان بين شعراء هذه المرحلة كثير من الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء والأدباء ، وحتى من اختص بالشعر فقط ،ومن بنيت شهرتهم عليه فهم كثيرون أيضاً ، ومن هؤلاء البارزين :

**1 : أبو القاسم محمّد بن هانئ الأزدي الأندلسي**

غادر الأندلس إلى أفريقية وعمره 26 سنة بعد أن ضايقه الفقهاء ؛ لاشتغاله بالفلسفة ، وخروجه في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل ، فأشار عليه صاحب اشبيلية بالابتعاد إلى المغرب ، واستقر به المقام في مصر ، واختص بالمعز لدين الله الفاطمي ، ووقف مدحه عليه ، وعلى رجال دولته ، وهو عند الأندلسيين كالمتنبي عند أهل المشرق ، وعدّوه أشعر أهل المتقدمين والمتأخرين من المغاربة .

قال ابن خلكان : ولولا ما في ديوانه من الغلو والمدح والإفراط المفضي إلى الكفر لكان ديوانه من أحسن الدواوين ، ولم يُعمِّر طويلاً فقد قُتل ولم يتجاوز السادسة والثلاثين عام 363 هـ .

ويغلب غرض المديح على ، وينماز مديحه بالمبالغة والإفراط ، وقد حاول أن يتحدى المتنبي في الاهتمام بالحكمة .

ومن شعره في مدح الخليفة المعز وقد بالغ في مدحه :

**ما شئتَ لا ما شاءتْ الأقدارُ ......... واحكم فأنت الواحد القهّارُ**

**وكَأنما أنت النَّبيُ محمّدُ ........... وكأنما أنصارُكَ الأنصارُ**

**أنتَ الذي كانت تُبَشُرُنا به .......... في كتبها الأحبارُ والأخبارُ**

**هذا إمامُ المتقينَ ومن به ............. قد دَوِّخ الطغيانُ والكفارُ**

**هذا الذي تُرجى النجاةَ بحبِّهِ .......... وبه يُحَطُّ الإصّرُ والأوزارُ**

**2: أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي .**

تقلّد مناصب متعددة في عصر الحكم المستنصر ، ثم صار حاجباً لابنه هشام ووزيراً ، وظلّ في المنصب إلى أن تفجرت المنافسة بينه وبين معاصره الوزير محمّد بن أبي عامر ، واستطاع الأخير الانتصار عليه ، ولجعفر شعر كثير رائع ، ونثر مطبوع ، يدلان على قدرة شاعرية ، وشاعرية فذّة .

ومن بديع ما حُفظ له في نكبته ، قوله يستريح من كربته :

**صبرتُ على الأيامِ مّا تولّتِ ........... وألزمتُ نفسي صَبْرَها فاستمرتِ**

**فيا عجباً للقلب كيف اصطباره ............ وللنفس بعد العزّ كيف استذلت**

**وما النفسُ إلا حيثُ يجعلُها الفتى .......... فإن طمعت تاقت ، وإلا تَسَلَّتِ**

**وكانت على الأيام نفسي عزيزةٌ ....... فلما رأتْ صبري على الذِّل ذلّتِ**

**3 : الشّريف الطليق .**

هو أبو عبد الله مروان بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن الناصر ، دخل سجن المطبق في الأندلس ؛ لاتهامه بقتل أبيه في أيام المنصور أبي عامر محمّد بن أبي عامر ، ثم أُطلق سراحه بعد ذلك فلقب الطليق ، وكانت بذور شاعريته قد بدأت تُؤتي أُكلها في السجن ، فصار سجنه خير مدرسة هذبّت أدبه ، وصقلت شاعريته ، إذ التقى في السجن مع جماعة من رؤساء الأدباء مثل : محمّد بن مسعود البجاني ، فلم يزل يأخذ عنهم ، ويستمد منهم حتى سما ذكره ، وشاع شعره .

مات قريباً من الأربع مئة ، ومن شعره قوله :

**وما طولُ سجني عائبٌ لي فإنّه ...... مسٌّ لألبابٍ صدئن بلا سنِّ**

**وما أنا إلاّ كالعُقار تكسّبتْ ........ نسيماً وطيباً في معاقرة الدِّنِّ**

وقوله :

**أصبحتُ في الدّهرِ كالمعقولِ مختفياً .... عن العيون ، وما تُخْفِي مَفَاهِمُهُ**

**كأنّما السَّحرُ صدري في تَضَمُنِهِ .... شخصي وشخصي سِرِّي فهو كاَتِمُهُ**

**كأنّما الدّهرُ يَخْشى منه لِي فَرَجاً ........ فَمِنْ قُيودي على البَلْوى تَمَائِمه**

**4 : ابن درّاج القسطلي .**

أبو عمر أحمد بن درّج القسطلي نسبة إلى قسطلة ، وبعد أن شبّ رحل إلى عاصمة الأندلس قرطبة ، واتصل بالحاجب المنصور ، وتوثقت علاقته به ، وضمّه إلى ديوان الإنشاء بعد أن أصبح في مقدمة شعرائه ، والمفضل على جميعهم لديه ، وعُرف بالاستقامة الخلقية والاعتدال في السيرة ، والبُعد عمّا يشين معظم شعراء عصره ، توفي 421 هــ .

فوصفه الثعالبي بقوله : **(كان بصقع الأندلس كالمتنبي في صقع الشام ، وهو أحد الفحول ، وكان يُجيد ما ينظم ويقول).**

وقال عنه ابن بسّام : **(كان أبو عمر القسطلي وقنه لسان الجزيرة شاعراً)** ، وعدّه معاصروه من شعرائها المشهورة ، وآخر حاملي لوائها ، وبهجة أرضها وسمائها ، وله ديوان مطبوع ، وشعر كثير يغلب عليه موضوع المدح ، ومحاولاته تاريخ معظم غزوات المسلمين التي عاصرها وله رسائل ، وفصول نثرية ، احتفظ بالكثير منها صاحب الذخيرة ، ونثره دون نظمه بكثير ، وله أشعار رقيقة تعبر عن حبه لأولاده ، وولعه بأفراد أسرته ، ومن شعره قوله في قصيدة يمدح فيها المنصور ابن أبي عامر :

**ولله عزمي يوم ودّعتُ نحوه ........ نفوساً شجاني بَثُّها وشجاها**

**وربة خدرٍ كالجمان دموعهاً ....... عزيزٌ على قلبي شطوطٌ نَواها**

**وبنتُ ثَمانٍ لا يزال يروعُنِي .... على النأي تذكاري خُفوقُ حَشَاها**

**وموقِفُها والبَيّنُ قَدْ جَدّ جِدّهُ ......... منوطاً بِحَبْليَ عَاتِقَيَّ يداها**

**5 : ابن عبد ربه الأندلسي :**

هو أبو عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربه ، مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخل ، ولد في قرطبة عام "246 هـ " لعشر خلون من شهر رمضان ، ونشأ فيها ، وطلب العلم في جامعها الكبير على شيوخ عصره ، وفي طليعتهم الفقيه **بقي بن مخلّد** والمحدّث المشهور **ابن وضّاح** , واللغوي المعروف **الخشني** ، فأفاد عنهم الفقه وعلوم الحديث واللغة ، واعتمد على نفسه في الاطلاع على كتب التاريخ والسيرة ، والأدب ، وألمّ بدواوين معظم شعراء المشرق ممن سبقه ، أو عاصره .

وقد انعكست تلك الثقافة الواسعة على شعره ، ونثره ، وقال عنه الحميدي : **(وكان لأبي عمر بالعلم جلالة ، وبالأدب رياسة ، وشهرة ، مع ديانته وصيانته ، واتفقت له أيام وولايات للعلم فيها نفاق فساد بعد خمول ، وأثرى بعد فقر).**

أما فنون شعره ، فنجد أن شاعرنا قد تطرق إلى معظم فنون الشعر في عصره ، وأبرز فنونه : الغزل ، والزُّهد ، والمديح ، والرثاء .

**ومن خصائص شعره الفنية :**

1 : السهولة والبساطة .

2 : يتضح في شعره ميله الشديد إلى المحافظة على الاتجاه القديم ، وتأثره بشعراء المشرق من حيث المعاني والصور، فكان يحاكي شعراء المشرق ، ويولع بمعارضته لأشعارهم بهدف التفوق عليهم لا الإعجاب بهم ، وانطلاقا من تأكيد حب الذات الأندلسية .

3 : استوفى في شعره معظم جوانب ثقافته ، فجاءت أشعاره معبرة عمّا أحاط به من معرفة وعلوم عصره ، فللأمثال مكانة في كثير من نصوص شعره .

4 : وكان مولعاً بالتضمين يختار الأبيات المناسبة ، فيجعلها ضمن أشعاره

5 : وللشيب والشيخوخة مكان واسع في أشعاره ، فنظم كثيرا من المقطعات يبدي فيها تخوفه من أيام الشيخوخة ، ومن ابيضاض شعره ، وقد أبدع في تلك الأشعار وجوّد غاية التجويد ، وأتى بصور رائعة .

ومن شعره في الزُّهد :

**يا عاجزاً ليس يَعْفُو حين يَقتَدِرُ ......... ولا يُقَضِّي له من عَيشِه وَطَرُ**

**عاَيِن بِقلبكَ إنَّ العينَ غافلةٌ ..............عن الخليفةِ واعلم أنَّها سَقَرُ**

**سوداءُ تَزْفُرُ من غَيظٍ إذا سُعِرَت .......... للظالمين فلا تُبْقِي ولا تَذَرُ**

**إنّ الّذَينَ اشتروا دنيا بآخرةٍ ............ وشقوةٍ بنعيمٍ ساءَ ما تَجَرُوا**

**يامن تلّهى وشيبُ الرأسِ يَنْدِبُهُ .... ماذا الذي بعدَ شيبِ الرأسِ تنتظرُ**

**لو لمْ يكن غيرَ الموتِ موعظةً .....لمكانٌ فيهِ عن اللّذاتِ مُزْدّجَرُ**

ومن شعره في مدح سليمان بن الحكم الملّقب بالمستعين :

**هنيئاً لهذا الدَّهرِ رَوُحٌ وريحانُ ........... وللدِّين والدنيا أَمَانٌ وإيمانُ**

**بأنّ قَعِيدَ الشِّركِ قَد تُلَّ عَرْشُهُ ............ وأنَّ أميرَ المؤمنينَ سليمانُ**

**وأنقذَ دينُ اللهِ من قبضةِ العدى ............ وقد قادَهُ للشركِ ذُلٌ وإذعانُ**

**وجددَ للإسلامِ ثوبَ خلافةٍ ............. عليها من الرحمنِ نورٌ وبرهانُ**

**به شُدَّ أَزْرُ المُلكِ وابتهجَ الهُدى ... وفاضَ على الإسلامِ حُسْنٌ وإحْسَانُ**